ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٣٢) - اعرف امامك (ج٣١)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(25)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق1)
الشأن (١) - التأسيس
-التوحيد فكرة عن الله نأخذها من المعصوم
الجمعة : ١/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ١٤/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

تَصَرَّمَتْ أيَّامُ شَهْرِ الصِّيَامِ وَهَا نَحْنُ فِي الأوَّلِ مِنْ شَوَّال، إنَّهُ العِيْد ..
عِيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ؟!
في هذه الحلقة سأفتح الصحيفة الخامسة من صحائف عقيدتنا السليمة، عنوانها: (**شؤونُ عقيدة التوحيد**).
إنَّني سأتناولُ أهمَّ شؤونِ عقيدة التوحيد بحسبِ ثقافة العترة الطاهرة صلواتُ الله وسلامهُ عليها.
التوحيدُ هو عقيدةٌ وفكرةٌ، لا تختلطُ عليكم الأمور فتتصوّرون أنَّ التوحيد هوَ الله، تلكَ إسقاطاتُ الثقافة النَّاصبية في واقعنا الشِّيعي، إنَّها اسقاطاتُ ثقافة حوزة بني نجف، وجذورُ ذلكَ تَعودُ إلى ثقافة سقيفة بني ساعدة، التوحيدُ ما هوَ الله، (**التوحيدُ؛ عقيدةٌ وفكرةٌ عن الله سبحانهُ وتعالى نأخذها من المعصوم فقط**) ، هذا هو التوحيد، التوحيدُ ما هوَ اللهَ، فحينما يُذكرَ هذا العنوان المفروضُ أنَّ التصور الَّذي يكونُ في الذِهن هو هذا: (**التوحيدُ؛ عقيدةٌ وفكرةٌ عن الله سبحانهُ وتعالى نأخذها من المعصوم فقط**) ، احذروْا من كتبِ حوزة بني نجف الَّتي ألِّفوها في موضوعِ التوحيد، لقد تحدَّثوْا عن التوحيد بشكلٍ مُخالف لِمَا عليه التوحيدُ في ثقافة العترة الطاهرة، ولذا حذَّرتكم مراراً من أن تقرؤوا دعاء العديلة عندَ الأموات، لأنَّ التوحيد المذكورَ فيه ما هوَ بتوحيدِ العترة، لأنَّ هذا الدعاء لم يَرِدَ عن الأئمَّة صلواتُ الله عليهم، وإنَّما كتبهُ بعضُ مراجع الشيعة وفقاً لمذاقِ حوزة النَّجف، فجاء التوحيدُ فيه توحيداً شركياً، عقيدةٌ شركيةٌ بحسبِ موازينِ العترة الطاهرة، لقِّنوا موتاكم بالزيارة الجامعة الكبيرة، ففيها تمامُ عقائدنا السليمة على أكملِ وجه بقولٍ بليغٍ كامل..

- **شؤونُ عقيدة التوحيد.**

الشأنُ الأوّل: **التأسيس.**
إنَّها الأُسسُ الفكريةُ العقائديةُ الَّتي سننطلقُ منها في أجواء عقيد ة التوحيد، بحسبِ ثقافة العترة الطاهرة، تذكَّروْا من أنَّنا نبدأ من هنا، من هذا القانون: (**مَنْ أرَادَ الله بَدَأ بِكُم وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم**)، الشأنُ الأوَّلُ من شؤونِ عقيدةِ التوحيد (التأسيس)، الأسس، الأُسسُ الفكريةُ المعرفيةُ الَّتي سننطلقُ منها.
في الجزء الأوّل من الكافي الشريف / لشيخنا الكُليني رضوان الله تعالى عليه / المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة / هذا هو الجزءَ الأوّل / صفحة ١١٦ / الحديثُ الثامن: **عَن إمَامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه** - يُخاطبني ويُخاطبكم، يُخاطبُ ابن آدم، فيقول صادقُ العترة صلواتُ الله عليه: **يَا ابْنَ آدَم لَو أكَلَ قَلْبَكَ طَائِرٌ لَم يُشْبِعه** - من الطيورِ الجوارح الَّتي تأكلُ كثيراً من اللَّحم - **يَا ابْنَ آدَم لَو أكَلَ قَلْبَكَ طَائِرٌ لَم يُشْبِعه وبَصَرُكَ لَو وُضِعَ عَلَيه خَرْقُ إبرَة لَغَطَّاه** - خَرقُ الإبرة يعني ثَقْبها، لو وُضِعت إبرةٌ وهي مثقوبةٌ في رأسها ووُضِعَ ثقبها على عينِ الإنسانَ الرائي لاختلَّ بصرهُ واضطربَ نظامُ الرؤية عنده، فلن يرى بشكلٍ واضحٍ وبشكلٍ طبيعي، بسببِ هذا الحاجزِ الَّذي لا قيمةَ لهُ، الَّذي وُضِعَ أمامَ عينه - **تُرِيْدُ أنْ تَعْرِف بِهِمَا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْض**؟! - بهذه الإمكانات المحدودة الَّتي تمتلكها تريدُ أن تعرف ملكوت السَّماوات والأرض؟! وما قيمةُ ملكوت السَّماوات والأرض إذا أردنا أن نتحدَّث عن الله؟! ملكوتُ السَّماوات والأرض شأنٌ مخلوقٌ من تجليات المخلوق الأوَّل، من تجليات الكلمة الأتمّ، من تجليات الحقيقة المُحمَّديَّة، فما قيمةُ ملكوتِ السَّماوات والأرض إذا كانَ الحديثُ عن الله؟! فنحنَ عاجزون عن الإحاطة بشأنٍ من شؤونِ خلقه، فكيفَ سيكونُ الحديثُ عنه سبحانهُ وتعالى؟!
القلبُ عنوانٌ وإشارةٌ للقُدر ة الَّتي يُدرِكُ بها الإنسانُ ما هوَ خارجُ الحواس، وأمَّا البصرُ فهوَ عنوانٌ وإشارةٌ لِمَا يُدركهُ الإنسانُ بحواسه.
مُدركات الإنسان:
- هناكَ مُدركاتٌ عقليةٌ يُدركها الإنسانُ بعقله.
- وهناك مُدْرَكاتٌ وجدانيةٌ يُدركها الإنسانُ بوجدانه.
أمّا عنوانُ القلب:
- فتارةً يُطلقُ على العقل.
- وتارةً يُطلقُ على الوجدان.
وهناك من المُدركات من المعلومات الَّتي يُدركُها الإنسانُ عبر حواسه.
- فهناك حسِّياتٌ عبر الحواس.
- وهناك وجدانياتٌ كالعواطف مثلاً كالأفراح والأحزان.
ما هو برزخي ما بين ما هو عقلي وما هو حسي، فالحُزنُ والفرحُ هذه معانٍ برزخيةٌ، لا تقعُ في الحدِّ العقلي، ولا تقعُ في الحدِّ الحسي، فهي وجدانيةٌ تُدركُ بالوجدان، فالإنسانُ يُدركُ بعقله ما هوَ عقليّ، ويُدركُ بوجدانه ما هو وجدانيٌ، ويُدركُ بحواسه ما هو حسيّ، ومُصطلحُ القلب في ثقافة العترة الطاهرة في بعض الأحيانِ يُطلَقُ على العقل وفي بعض الأحيانِ يطلقُ على الوجدان، وهذا أيضاً في الكتابِ الكريم، لا أريدُ أن أخوض في كُلِّ هذه التفاصيلِ الدقيقة.

إِنْ كُنْتَ صَادقاً فَهَذه الشَّمْسُ خَلْقٌ منْ خَلْقِ الله، فَإِنْ قَدَرتَ أَنْ تَملأ عَينَيكَ مِّنهَا فَهُو كَمَا تَقُول - هذه حدودك يا ابن آدم، فعليك أن تتدبَّر، وأن تتفكَّر، وأن تَتفهَّم، وأن تتعلَّم بحدودِ قدرتك الإدراكيةَ - **إِنْ كُنْتَ صَادقاً فَهَذه الشَّمْسُ خَلْقٌ مِن خَلْقِ الله، فَإِنْ قَدَرتَ أَنْ تَملأ عَينَيْكَ مِّنهَا فَهُو كَمَا تَقُول** - كما تدَّعي من أنَّك تستطيعُ أن تُحيط علماً بملكوتِ السَّماواتِ والأرضِ.

وإلى روايةٍ أخرى، لكن لابُدَّ أن تلتفتوا من أنَّ الرواية حينَ تحدَّثتَ عن ملكوت السَّماوات والأرض إنَّها لا تتحدَّثُ عن الجانبِ الماديِ المحسوس، الملكوتُ هو عالمُ ما وراء المادة، وما جاء به الإمامُ مثالاً بخصوص النظرِ إلى الشَّمس إنَّهُ مثالٌ حسيّ على سبيل التقريب، فالأمثلةُ الحسيةُ تُقرِّبُ من وجهٍ وتُبعِّدُ من وجوه أخرى، لابُدَّ أن نلتفتَ إلى هذه الحقيقة، فمثالُ الشَّمس ما هو مثالٌ نقيسُ عليه كُلَّ الحقائق، إنَّما هي لقطةٌ مُجتزئةٌ من مثال حسّي واقعي، نحنُ لا نستطيعُ أن نفتح أعيننا بشكلٍ مُباشرٍ وننظر إلى عينِ الشَّمس إلى قلب الشَّمسِ الَّتي هي آثارُ ضوئها، هذا الضوءَ الَّذي يتجلَّى إلينا عبرَ الغلاف الغازي الهائل الَّذي يُحيطُ بالأرض، ويُشكِّلُ مجموعةً هائلةً من الفلاتر فيما بيننا وبينَ الشَّمس، معَ بُعد المسافة الهائلة فيما بينَ أرضنا وبينَ الشَّمس، لابُدَّ أن نأخذَ بنظر الاعتبارِ كُلَّ هذه التفاصيل، حتَّى نستطيعَ أن نُدركَ مضامينَ هذا المَثَل، إنَّهُ مَثَلٌ حسّي، يُقرِّبُ من وجهٍ ويُبعِّدُ من وجوه كثيرة.

في صفحة (١١٩)، إنَّهُ الحديثُ السابع: **بسنده، عن عَاصمِ بنِ حُمَيْد، عَن إِمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامَهُ عَليه** - هو يقول عاصم بن حُميد يقول: **ذَاكَرْتُ أَبَا عَبد الله** - إمامنا الصّادق - **فِيمَا يَروُونَ من الرُّؤيَة** - مَن هم الَّذين يروون؟ المخالفون، يعتقدون بالرؤية الحسيّة، إنْ لم يكن في الدنيا ففي يوم القيامة، وأمَّا في الدنيا فهناك منهم من يعتقد وفقاً لمرويات في كُتبهم من أنَّ الله يتجلَّى في غُلامٍ بالتفاصيل الَّتي يذكرونها في كُتبهم، ويمكنُ للنَّاس أن يروْا الله بصورة ذلكَ الغُلام، بالنتيجة في ثقافة سقيفة بني ساعدة هناكَ اعتقادٌ بالرؤية الحسيّة في يوم القيامة، وهناكَ منهم من يعتقدُ بأنَّ الرؤيةَ الحسيّة يمكن للإنسانِ أن ينالها عبرَ رؤيةِ الله في صورةِ غلامٍ ينزلُ إلى الأرض، بغض النظرِ هل هُم لا زالوا على هذه العقيدة، هل صحَّحوها؟! لا شأن لنا بهم، فهناك منهم من لا زالَ على هذه العقيدة، وهناك من صحَّح عقيدتهُ بحسبِ قواعد علمِ كلامهم الَّذي يستنبطون وفقاً لهُ عقائدهم.

أعودُ إلى الروايةِ: **عاصم بن حُميد يقول: ذَاكَرْتُ الصَّادق** - المذاكرةُ قد تأتي بمعنى المناقشة، وقد تأتي بمعنى فتح الحديثِ والمحاورة وما يقربُ من ذلك.

عاصم بن حُميد يقول: **ذَاكَرْتُ الصَّادقَ صلواتُ الله عليه فِيمَا يَروُونَ من الرُّؤيَة** - من الرؤية الحسية - **فقال: الشَّمْسُ جُزءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزءاً من نُورِ الكُرْسي** - الكرسي الَّذي وَسِع السَّماوات والأرض، الإمامُ يُشيرُ إلى هذا العنوان، ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ - **الشَّمْسُ جُزء من سَبْعِين جُزءاً من نُور الكُرْسي، وَالكُرْسيّ جُزء من سَبْعِينَ جُزءاً من نُور العَرش** - ففي أحاديث العترة الطاهرة الكرسيّ إلى العرش كحلقة في فلاة، صحراء واسعة ممتدة كصحراء الربع الخالي مثلاً في الجزيرة العربية، كالصحراء الكبرى مثلاً في شمال إفريقيا، صحراء ممتدة وتُلقي في وسطها بحلقة كهذا الخاتم، فالكُرسي بكُلِّ عظمته بحسبِ أحاديث العترة الطاهرة بالقياس إلى العرش هو كحلقة في فلاة - **وَالعَرشُ جزءٌ من سَبْعِينَ جُزْءاً من نُورِ الحجَاب** - ما وراء العرش، والحجابُ عالمٌ لا نستطيعُ أن نتصوَّر حقيقتهُ، وإنَّما حدَّثونا عنه - **وَالحجَابُ جُزء من سَبْعِينَ جُزْءاً من نُورِ السَّتْر** - إنَّها عوالم الأنوار ما بعد العرش وما بعد الحجب - **فَإِنْ كَانُوْا صَادقِينَ** - إن كانوا صادقين فيما يقولون من إمكان الرؤية الحسية - **فَإِنْ كَانُوْا صَادقِينَ فَلْيَملَؤا أَعْيُنَهُم مِنَ الشَّمسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَاب** - عرضٌ بشيء من التفصيل لنفس المضمون الَّذي قرأتهُ عليكم في الروايةِ المتقدِّمة.

هاتان الروايتان : بمثابة إيماضة تكشفُ لنا الطريق، من هنا البداية، بدايتنا في شؤون التوحيد من هنا، من هذه المضامين الَّتي حدَّثتنا هذه الرواياتُ عنها.

صفحة (١١٦)، إنَّهُ الحديثُ العاشر: **بسنده، عَنْ عَبْد الرَّحمن بنِ عَتيكٍ القَصير، قَالَ: سَألتُ أَبَا جَعفَرٍ** -يسألُ إمامنا الباقر صلواتُ الله عليه - **عَنْ شَيء من الصِّفَة؟** - أحاديثُ أهل البيت حدِّثتنا باتجاهين:

- حدَّثتنا عن أنَّ الله لا يُوصَف.

- وعن أنَّ الله يُوصَف.

هل هذا تناقض؟! ليس بتناقض.

- إنَّ الله يُوصَفُ بحسبِ ما وصفَ بهِ نفسهُ، في قُرآنه، قطعاً في قُرآنهِ المفسَّرِ بتفسيرِ عليٍ وآلِ عليٍ كما بايعنا في بيعة الغدير، إنَّنا نصفُ الله بما وصف به نفسه.

- ولا نصفهُ بحسبِ مداركنا كما يفعلُ نواصبُ السقيفة حيثُ يصفونَ الله بأوصاف كأوصاف المخلوقين، رُبَّما يتحدَّثون في زماننا بطريقة أخرى، يجدون لهم مخارج من الكلام، لكنَّنا نتحدَّثُ عن زمانِ هذه الروايات وهذه الأحاديث، فإنَّهم كانوْا يتحدَّثون عن صفات لله كصفات المخلوقين.

- **فَرفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاء** - متبرئاً رافضاً لمَا يقولون - **فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ قَالَ تَعَالَى الجَبَّارُ مَن تَعَاطَى مَا تَمَّ** - ما هُناك - **هَلَك، مَن تَعَاطَى مَا تَمَّ** - ما هُناك - **هَلَك** - من تعاطى وصفَ الله بصفات نقيسها على مداركنا المحدودة، فهل أنَّ الله يوصف؟ يُوصَفُ بحسبِ ما وصف به نفسه، وبعبارة دقيقة: بحسبِ ما وصفهُ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّدَ، (مَنْ أَرَادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم) ، من هنا نأخذ التوحيد، لا من العرفاء، ولا من المتصوِّفة، ولا من الفلاسفة، ولا من عُلماء الكلام، ولا من سقيفة بني نجف، ولا من سقيفة بني ساعدة، على اختلاف تشقُّقات السقيفتين وعلى تنوعِ تفرعات السقيفتين لا شأنَ لنا بكُلِّ ذلك.

- اللهُ يوصفُ؟ نعم، بحسبِ ما يصفهُ لنا المعصوم.

- اللهُ لا يوصفُ؟ نعم، إذا كان الوصفُ بحسبِ مداركنا وبالمقايسة وفقاً لصفات المخلوقين.

إلى الصفحة الرابعة والعشرين بعد المئة، إنَّهُ الحديثُ الحادي عشر: **بِسنده، عن الفُضَيل بنِ يَسَار، قَالَ: سَمعْتُ أَبَا عَبْد الله** - إمامنا الصّادق صلواتُ الله عليه يقول: **إِنَّ الله لَا يُوصَف، وَكَيْفَ يُوصَف؟ وَقَد قَالَ فِي كِتَابِه: "وَمَا قَدَرُوْا الله حَقَّ قَدْرِه"، فَلَا يُوصَفُ بِقَدَرٍ إِلَّا كَانَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلك** - "وَمَا قَدَرُوْا اللهَ حَقَّ قَدْرِه"؛ لأنَّهم وضعوا قَدْراً لله بحسبهم، وبحسبنا لا نستطيعُ أن نضعَ قَدْراً لله سُبحانهُ وتعالى، لا نستطيعُ أن نصفهُ بحسَبنا، وإنَّما نَصفهُ بحسبِ ما وَصَفَ بِه نَفسَهُ وبحسبِ ما فسَّرهُ وشرحهُ وأوّلهُ لنا المعصومُ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

في الصفحة الخامسة والعشرين بعد المئة: **بسنده، عَنْ عَبْد الله بنِ سنان، عَنْ إمَامنَا الصَّادقِ** - وعبدُ الله بن سنان شخصيّةٌ معروفةٌ ومن أعلام أصحابِ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه، عبدُ اللَه بنُ سنان يُحدِّثنا عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله عليه هكذا قال: **إنَّ الله عَظِيْمٌ رَفِيْع لَا يَقْدرُ العِبَادُ عَلَى صِفَته، وَلَا يَبْلُغونَ كُنْهَ عَظَمَته، لَا تُدرِكُهُ الأبْصَار** - الأبصارُ حواسّ وإدراكها محدودٌ - **لا تُدرِكهُ الأبْصَار وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَار وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيْر** - حينَ أقولُ: هو مُحيطٌ بكُلِّ شيء؛ لا أتحدَّثُ عن إحاطة حسيّة، إنَّها إحاطةُ العظمة الإلهيّة، إنَّها إحاطةُ الجبروت السُّبحاني، هذه الإحاطةُ الَّتي أشيرُ إليها - **وَلَا يُوصَفُ بِكَيْف وَلَا أيْن وَلَا حَيْث** - لأنَّنا إذا وَصَفناهُ بوصف يكونُ جواباً كَيفَ هو الله صارَ مخلوقاً، فإنَّنا حينما نتحدَّثُ عن الكيفية هنا نعتمدُ على مُفردات في أذهاننا، وعلى مُفردات في تصوّرنا، وعلى إشاراتٍ ورموزٍ في واقع خيالنا، وكُلُّ هذا مُستقى إمَّا من أنفسنا وإمَّا ممَّا هو حولنا، إنَّها شؤونُ المخلوقين، وفي ضَوء ذلكَ نبدأُ نُشكِّل وصفاً لهُ سبحانهُ وتعالى، من هنا نحنُ لا نستطيعُ أن نصفهُ بهذه الطريقة وبهذا الاتجاه - **وَلَا يُوصَفُ بِكَيْف وَلَا أيْنٍ وَلَا حَيْث، وَكَيْفَ أصِفُهُ بِالكَيْف وَهُوَ الَّذي كَيَّفَ الكَيْف حَتَّى صَارَ كَيْفَاً، فَعُرِفَت الكَيْفُ بِمَا كَيَّفَ لَنَا منَ الكَيْف** - والمرادُ من الكَيف هنا هي حالةُ المخلوقِ فيما تُحدِّدُ كَيفيّتهُ حدودُ أوصافهِ، وخصائصُ طبيعته، فتلكَ هي كيفيةُ المخلوق، وهذا هو الكيفُ الَّذي يُشيرُ إليهِ إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه -

أم كَيْفَ أصفهُ بأيْنٍ وَهُو الَّذي أيَّنَ الأيْن - والإشارةُ في الأينِ إلى المكان، إلى الجهة الَّتي يكونُ فيها الكائنُ المتكوِّنُ بالكيفية المتقدِّمة - **أم كَيفَ أصِفهُ بأيْنٍ وَهُو الَّذي أيَّنَ الأيْن** - والأينُ لا تُشير إلى المكانِ فقط، لكنَّ المكانَ هو العنوانُ الأوّل، فهي تُشير إلى الزمانِ أيضاً.

فالأينُ:

- أينُ مكانٍ.
- وأينُ زمانٍ بمعنى متى.

حَتَّى صَارَ أيْنَ، فَعُرِفَت الأيْنُ بِمَا أيَّنَ لَنَا منَ الأيْن - إنَّها قوانينُ العالمِ الَّذي نعيشُ فيه، فهناك المكوّناتُ الَّتي كُوِّنت ولها أوصافها، ولها كيفياتها، ولها طبائعها، وهي الَّتي تكونُ في وعاء المكانِ وفي وعاء الزمان، وهذه المكوناتُ لا تنفكُّ عن مكانها وعن زمانها، وللأمكنة قوانينها وسُنُنها، وللأزمنة كذلك، فالَّذي كَوّن الكون هو سبحانهُ وتعالى ، وكَيّفهُ وأيَّنهُ وحيّثهُ، فكانت لهذه المكوّنات من الحيثيات في كُلِّ اتجاه من اتجاهاتها، وفي كُلِّ بُعد من أبعادها، حتَّى في أبعادها المعنوية، فأبعادها المعنويةُ مُقيّدةٌ بطبائعها المادية، وليسَ هناكَ من انفكاكٍ فيما بينَ خصائصِ حالاتها المعنوية وخصائصِ حالاتها المادية، فكُلُّ ذلكَ محكومٌ بقواعد الكيف وسُنن الأين وطبائع الحيث.

أمْ كَيْفَ أصِفُهُ بِحَيْث وَهُوَ الَّذي حَيَّثَ الحَيْث حَتَّى صَارَ حَيْثَاً - إنَّها الجهاتُ المتعدِّدةُ في كُلِّ كائنٍ، علاقتهُ مع الكائنات الَّتي تُحيطُ به، الجهاتُ الَّتي تُحيطُ به، حيثيةٌ ظاهرهِ إلى باطنه، وحيثيةُ أجزائه الَّتي يتركَّبُ منها كُلُّهُ، تلك هي الحيثيات- **وَهُوَ الَّذي حَيَّثَ الحَيْثَ حَتَّى صَارَ حَيْثَاً فَعُرِفَت الحَيْثُ بِمَا حَيَّثَ لَنَا منَ الحَيْث، فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَاخِلٌ فِي كُلِّ مَكَان وَخَارِجٌ من كُلِّ شَيء، لَا تُدْرِكُهُ الأبْصَار وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَار، لَا إلَه إلَّا هُوْ العَلِيُّ العَظِيْم وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيْر فَسُبْحَانَه مَن هَو هَكَذا لَا هَكَذا غَيره.**

صفحة (١١٩)، بحسب الطبعة الَّتي أشرتُ إليها، الحديثُ السادس: **بسنده، عَنْ أبِي الحَسَنِ الـمَوصلي، عَنْ إمَامنَا الصَّادقِ صلواتُ الله وسَلامهُ عليه، جَاءَ حَبْرٌ** - الحَبْرُ هو عالـمُ اليهود، هو فقيهُ اليهود، ما هو معروفٌ في أيَّامنا هذه بالحاخام، وما هي بتسمية جديدة، ولكنَّهم لا يقولون أحبار، شائعٌ في زماننا حاخامات - **جَاءَ حَبْرٌ** - جاء حاخامٌ - **جَاءَ حَبْرٌ إلَى أمِيرِ الْمُؤْمنين صلواتُ الله عليه فَقَالَ: يَا أمِيرَ الْمُؤْمنين، هَل رَأيْتَ رَبَّكَ حِيْنَ عَبَدْتَه؟ قَالَ إمَامنا الصَّادقُ: فَقَال** - فقال أمير المؤمنين - **وَيْلَك، مَا كُنْتُ أعْبُدُ رَبَّاً لَم أرَه فَقَالَ الحَبْر: وَكَيْفَ رَأيتَه؟ فَقَالَ الأمِير: وَيْلَك، لَا تُدْرِكُه العُيُون فِي مُشَاهَدَة الأبْصَار** - إنَّها مدارك المخلوق المحدودة - **وَلَكن رَأتهُ القُلُوبُ بِحَقَائق الإيمَان** - الإمام هنا لا يتحدَّثُ عن القُلوب الَّتي هي العقول، ولا يتحدَّثُ عن القُلوب الَّتي هي الوجدان، صحيحٌ العقولُ في مستوىً من مستويات إدراكها تُثْبِتُ وجود الله، وتُثْبِتُ وصفَ الكمال له، وكذا القلوب الَّتي هي بمعنى الوجدان، لكنَّ الأمير يتحدَّثُ هنا عن البصائر، والبصائر هي موطنُ العقائد الحقَّة..

هناك علمٌ، هناك معرفةٌ، وهناك إيمان، قد يلتقي عنوان المعرفة مع عنوان الإيمان وقد يفترقان، لأنَّ الإيمان يتسامى حتَّى على المعرفة في معناها الأوَّل لا في درجاتها العالية، في درجاتها العالية المعرفةُ أعلى درجات الإيمان، لكنَّ هذه المعاني على مراتب، تمييزها بحاجة إلى دقَّة مُتناهية.

بشكلٍ إجمالي أقولُ لكم: العلمُ صُورةٌ عن المعلوم تنطبعُ في الذهن، تنطبعُ في العَقلِ البشري، قطعاً هذا المصطلح (العَقل) قدْ يُطلقُ على ذهن الإنسان، والمرادُ من ذهن الإنسانِ مركزُ التفكيرِ عندَ البشر ومجمعُ صور المعلومات، مظهرهُ الجسديّ هو الدماغ، ومظهرهُ المعنويّ طاقةُ العقلِ في روح الإنسان، حينَ أتحدَّثُ عن مظهره المعنوي بالقياس إلى المظهرِ الحسي المادي، وإلَّا فإنَّ الروح ما هي بحقيقة معنوية مُجرّدة، المعنوياتُ منها ما هو مجرّدٌ، ومنها ما هو ليس بمجرّد، الروحُ تتواصلُ مع الجسد بحيثية من الحيثيات، لا أريدُ أن أدخل في تشعّبات الحديث هذا، فهذا كلامٌ سيطول.

وحتَّى إذا ما ترقَّى الإنسانُ وكانَ من أصحابِ البصيرةِ فما يدركهُ ببصيرته يكونُ منضوياً تحت عنوان العقل، وهذا الاستعمال ورد في الكتاب الكريم، وورد في أحاديث العترة الطاهرة..

هذه العناوينُ والمصطلحاتُ:

- منها ما هو فلسفيٌ محض.
- ومنها ما هو عرفانيٌ محض.
- ومنها ما هو قرآنيٌ.
- وما هو حديثي.

فهذا هو العلم الَّذي يُدركُ عبر الذهن البشري.

وأمَّا المعرفةُ؛

المعرفةُ انطباعٌ لصورِ المعلومِ في مستوىً واحد من الإدراك والفاعليةِ والتأثيرِ في العقلِ والقلب، في الذهنِ والقلب، حينما تنطبعُ الصورةُ في العقلِ في الذهن البشري بمستوىً مُعيّنٍ وتنطبعُ بنفسها في وجدانِ الإنسان بنفسِ المستوى الَّذي انطبعت به في ذهنه وحدث التمازجُ والتفاعلُ الإنسانيّ الوجداني مع تلكَ الصورةِ تلكَ هي المعرفة، والشيعيّ العارفُ بإمامِ زمانهِ ليسَ هو الَّذي انطبعت المعلوماتُ في ذهنه عن إمامِ زمانه، وإنَّما هو الَّذي انطبعت

المعلوماتُ في ذهنه أولاً بمستوىً من المستوياتِ بحسبِ منزلةِ ذلك الشيعي، وبحسبِ القُدراتِ والمواهب الَّتي يمتلكها، وانطبعت في وجدانه، صورةٌ تنطبعُ في العقلِ وفي القلب، تلكَ هي المعرفة.
الإيمانُ في درجاته الأولى يتطابقُ مع المعرفة، ولكن حين يرتقي سيكونُ الإدراكُ بقُوّةٍ أخرى، فالمعرفةُ تُدرَكُ بالإدراك العامِ عندَ الإنسان من خلالِ التمازجِ بينَ مُدركَات العقلِ والقلب، ومُدركات القلب.
- أمَّا الإيمانُ في بداياته الأولى سيكونُ معرفةً.
- ولكن إذا ما ترقَّى فإنَّ الإدراك سينتقلُ من دائرةِ الذِّهنِ والقلبِ والوجدانِ إلى دائرة البصيرة، والبصيرةُ شيءٌ آخر.
ولذا نجدُ في رواياتنا وأحاديثنا:
- من إدراكِ للعقائد بالأوهامِ.
- ومن عدمِ إدراكِ للعقائد بالأوهام.
الأوهامُ الَّتي تُدرَكُ بها العَقائدُ وتتفاعلُ معها هي أوهامُ البصائر.
أمّا الأوهام الَّتي لا يُمكنُ أن تكون صحيحةً هي أوهامُ قُوّة الإدراك البشري ما بينَ ذهنه ووجدانه وحواسِّه، الأوهامُ في هذا المستوى لا نستطيعُ أن نتواصلَ معها لإدراك عقائدنا، بينما الأوهامُ الَّتي هي في مستوى البصائرِ يمكننا أن نتواصلَ معها وهذا موجودٌ في أدعيتنا وسنمر عليه.
في الصفحة نفسها، صفحة (١١٩)، من المصدرِ نفسه من الجزء الأول من (الكافي الشريف) الحديثُ الخامس: **بِسنده، عَنْ عَبْد الله بن سنان، عَن أبيه يَقُول: حَضَرتُ أبَا جَعْفَرٍ** - والدُ عبد الله بن سنان كان حاضراً في مجلس الباقرِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **حَضَرتُ أبَا جَعْفَرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْه رَجُلٌ منَ الخَوَارِج، فَقَالَ لَهُ: يَا أبَا جَعْفَر أيَّ شَيء تَعْبُد؟** - هذا الخارجيّ يسألُ الباقر صلواتُ الله عليه - **يَا أبَا جَعْفَر أيَّ شَيء تَعْبُد؟** - فماذا قال إمامنا الباقرَ؟ - **اللهَ تَعالَى** - أعْبُدُ من؟ - **اللهَ تَعالَى، قَالَ: رَأيْتَهُ؟ قَالَ: بَل لَم تَرَهُ العُيونُ بمُشَاهَدَة الأبْصَار وَلَكن رَأتهُ القُلُوبُ بحَقَائقِ الإيمَان** - كلامُ أمير المؤمنين نفسهُ ويستمرّ الإمامُ الباقرُ صلواتُ الله عليه - **لَا يُعْرَفُ بالقِياس وَلَا يُدْرَكُ بالحَوَاس وَلَا يُشْبهُ بالنَّاس، مَوْصُوفٌ بالآيَات، مَعْرُوفٌ بالعَلَامَات** - ما هي هذه العلامات؟
نحنُ نقرأ في دُعاء إمامِ زماننا في دعاء شهر رجب، الدعاءُ الَّذي فيه (لَا فَرقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إلَّا أنَّهُم عبَادُكَ وَخَلْقُك): **فَبِهِم مَلَأتَ سَمَاءَكَ وَأرْضَك حَتَّى ظَهَرَ أنْ لَا إلَه إلَّا أنْت، فَبِذَلكَ أسْألُك وَبمَوَاقع العزِّ منْ رَحْمَتك وَبمَقَامَاتكَ وَعَلَامَاتك)**، إلى آخر الدعاء، المقاماتُ، الآياتُ، العلاماتُ هُمْ هُمْ صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.
لَا يَجورُ في حُكْمه ذَلكَ اللهُ لَا إلَه إلَّا هُوْ، قَالَ - والدُ عبد الله بن سنان يقول - **فَخَرَج الرَّجُل وَهُو يَقُول: اللهُ أعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه.**
أذهبُ بكم إلى الصفحة الثالثة والعشرين بعد المئة من الكتاب الَّذي بين يدي، الحديثُ السادس: **بِسنده، عَن مُحمَّد بن حكيم** - يحدّثنا عن إمامنا الكاظمِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **مُحمد بن حكيم يقول: كَتَبَ أبُو الحَسَنِ مُوسَى بنُ جَعفَر صَلَواتُ اللهَ عَلَيْهِمَا إلَى أبي** - الإمامُ كتب إلى والدِ مُحمَّد بن حكيم، ماذا كتبَ لهُ؟ - **أنَّ الله أعْلَى وَأجَلُّ وَأعْظَمُ منْ أنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صفَته فَصفُوهُ بمَا وَصَفَ به نَفْسَه، وَكُفُّوْا عَمَّا سوَى ذَلك** - هذه مشكلةٌ حدثت أيَّام إمامنا الكاظم، نشأت عقيدةُ تجسيمٍ وتجسيدٍ في أجواء كبار صَحابَة الإمامِ الكاظم، هذا موضوعٌ جانبيّ لسنا بصدد التوغّل فيه، لكنَّني أردتُ أن أشير إلى هذه المعلومة ولو بشكلٍ مُقتضب كي تعرفوا إلى أيِّ شيءٍ يُشيرُ إمامنا الكاظمُ هنا حين يكتبُ رسالةً إلى والدِ مُحمَّد بن حكيم، عادةً الأئمَّةُ لا يكتبونَ الرسائلَ إلَّا إلى أشخاص مُهمّين أو بسببِ أحداثٍ مُهمة أو أنَّ سؤالاً خطيراً وُجِّه إليهم بشكلٍ كتبي، ولذا ماذا يقول مُحمَّد بن حكيم؟: **كَتَبَ أبُو الحَسَنِ مُوسَى بنُ جَعفَر إلَى أبي أنَّ الله أعْلَى وَأجَلُّ وَأعْظَمُ منْ أنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صفَته** - لا تستطيعُ العقولُ ولا والوجدانُ ولا الحواسُ ولا الإدراكُ البشريُّ ولا البصائر أن تُدرك كُنه صفته - **فَصفُوهُ بمَا وَصَفَ بهِ نَفْسه، وَكُفُّوْا عَمَّا سوَى ذَلك** - هذا الَّذي أشرتُ إليه في بداية حديثي في هذه الحلقة، من أنَّنا إذا ما رجعنا إلى ثقافة أئمَّتنا في عقيدة التوحيد:
- هناك أحاديثُ تنهى عن الوَصف.
- وهناك أحاديثُ تأمرُ بالوصف.
الأحاديث الَّتي نهت عن الوصف: نهت عن الوصف بحسبنا، بحسبِ مداركنا.
والأحاديثُ الَّتي أمرت بالوصف: أن نصفهُ بما وصفَ به نفسه، عبر قُرآنِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد المفسِّرِ بتفسيرهم، وعبرَ حديثهم المفهَّمِ بتفهيمهم، (مَنْ أرَادَ الله بَدْأ بكُم وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبلَ عَنْكُم) ، هذا القانون لابُدَّ أن يكون شاخصاً أمَام أعينكم، أمام عقولكم، أمام قلوبكم، أمام وجدانكم، أمام بصائركم، إنْ كُنتم من أهلِ البصائر، يا ليتنا يا ليتنا كُنَّا من أهل البصائر.
وفي الحديث السابع أيضاً عن إمامنا موسى بن جعفر: **يُحدِّثنا المفضَّلُ بن عمر يقول: سَألتُ أبَا الحَسَن** - إنَّهُ إمامنا الكاظمُ صلواتُ الله عليه - **سَألتُ أبَا الحَسَن عَنْ شَيء من الصِّفة؟** - من الصِّفة بحسبِ مداركنا، بحسبِ المقاييسات وفقاً لصفات المخلوقين ممَّا تذهبُ إليه عقيدةُ سقيفة بني ساعدة، وممَّا وقعَ فيه بعضُ كبار الصحابة من أصحاب إمامنا موسى بن جعفر في عقيدة تجسيمٍ وتجسيد وتشبيه.
المفضلُ يقول: **سَألتُ أبَا الحَسَن عَنْ شَيء من الصِّفة؟** - إمامنا الكاظمُ وضعَ حدّاً فاصلاً - **فَقَالَ: لَا تَجَاوَزُوْا مَا في القُرآن** - وانتهينا، ولكن عن أيِّ قرآنٍ يتحدَّثُ بابُ الحوائج؟ يتحدَّثُ عن قُرآنٍ بايعنا عليه في بيعة الغدير، عن قُرآنٍ مُفسَّرٍ بتفسيرِ عليٍّ وآلِ عليّ، عن قُرآنٍ يقترنُ بحديث عليٍّ وآلِ عليٍّ كما في حديث الثَّقلين إنَّهُ حديثٌ مُفهَّمٌ بتفهيمِ عليٍّ وآلِ عليٍّ إنَّها بيعةُ الغدير، أتلاحظون أنَّ مضمونَ بيعة الغدير يُلاحقنا في كُلِّ حرفٍ من حروف صحائف العقيدة السليمة، كم هو حجمُ الخيانة إذاً؟! خيانةُ الشيعة لمضمون بيعة الغدير؟! والسّبب النَّجف النَّجف، هذا البلاء العظيم، النَّجف، النَّجفُ، النَّجف، بلاؤنا من هناك، الطوسي، الطوسي، الطوسي، مراجعُ النَّجف، مراجعُ النَّجف، مراجعُ النَّجف، البلاءَ من هناك.